أعطوني أمة ضعيفة القومية ذات نتاج خالد ! أليس لنا في اليونان أمة العبقرية والفن مثل واضح على ذلك ؟ لقد تحجرت مواهبها وعبقريتها منذ تلاشت قوميتها . وهل أعطى العرب نتاجهم الأدبي إلا يوم كانوا أقوياء ؟ وأي نتاج لهم في عصر الضعف والتلاشي ؟ وهل يدرس الطلاب من الأدب الغربي إلا أدب الأمم التي ثبتت قوميتها ، وخفقت حريتها ؟ . . . وإذا كانت الثقافة أحلت لهذه الأمم أن تسخر ما لا يسخر للدعاية أفهل يلومنا أحد على أن نسخر هذا الشيء نفسه لغاية أسمى وأعلى ، لغاية إحياء قومية نبيلة : « ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً » . . . إني أخاف إذا غالينا في تجريد أدبنا من قوميتنا أن يقولوا : هذا أدب إنساني ولكن بلا وطن! وضعف القومية يقتل كل خاصة مبدعة في الشعوب . لقد عملنا عملنا الانساني كأفراد فلنجرب أن نعمله كأمة !

نحن في مرحلة نستطيع أن نقول فيها للأديب ما قاله وزير الدعاية النازية : « لا يحق لك أن تقول « لا يهمني شيء من هذه المرحلة » . وما قاله مكسيم غوركي « يجب على كل أديب أن يشعر بمسئوليته الخطرة في هذه المرحلة لأن عليك أيها الأديب يتوقف كل شيء لأنك لست حاكياً تردد ، ولا آلة فوتوغرافية عمياء تصور ما يعرض لعدستها ، ولا اسطوانة حاكٍ تستنطقها أية إبرة نفس الكلمات ، وإنما أنت الصوت وغيرك الصدى . أنت الريشة التي تصور ، والأمة الأخيلة التي تلتقطها . أنت الابرة التي تنقش على الاسطوانة ما تريد والشعب الاسطوانة ، فعليك أن تتخير الكلمات التي تريد أن تنقشها . . . وإذا كان هم الرجل السياسي أن ينظم علاقات أمة وشؤونها في الداخل والخارج . فان هم الأديب أن يوجه حياتها ومجتمعها . ويعطينا أدباً يستمد حياته من قلب حياتها لا من بطون الكتب والحجارة . . . »

الساعة قد دنت : وعلى هذه الأرض التي سطعت عبقريتها يريد جديد من المجد والجمال أن يتيقظ !

إنا ذقنا من ألوان الاضطهاد في الأجيال السابقة ما يجعلنا نسخر حتى السماء في تشييد حريتنا وقوميتنا . . . فكيف لا نسخرك أيها الأدب لهذه الحرية ، وكيف لا نسخركم أيها الأدباء لأدب أرى فيه وجه أمتي . ؟

منيب الشنداري

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٥ —

الرافعي في أهله

« إذا رأيت رجلا موفقاً فيما يحاوله مسدّد الخُطا إلى الهدف الذي يرمي إليه ، فاعلم أن وراءه امرأة يحبها وتحبه ! »

وأنا لا أعرف — فيمن أعرف — أحداً تنطبق عليه هذه الحكمة الغالية انطباقها على حياة الرافعي ؛ فالواقع الذي يعرفه كل من خالط الرافعي واتصل به وعرف طرفاً من حياته الخاصة ، أنه ما كان ليبلغ مبلغه الذي بلغ لولا الحياة الهادئة التي كان يحياها في بيته ؛ فالى زوجه يعود فضل كبير في نجاحه وتوفيقه وهدوء نفسه ، هذا الهدوء الذي هيأه إلى دراسة نفسه ودراسة من حوله والتفرغ لأدبه وفنه ، لا يشغله عنهما شاغل مما يشغل الناس من شئون الأهل والولد .

وقد تزوج الرافعي في الرابعة والعشرين من عمره ؛ ولزواجه قصة فيها طرافة وفيها مجال للفكر والنظر ؛ ومادمت قد أخذت على نفسي أن أكتب عن الرافعي في كل أطواره ، فلا على أن أقول ما أعرف من قصة زواج الرافعي ؛ ولا أحسبني بذلك أتجاوز مالي من الحق أو أتعرض لعتب أو ملامة ، فقد خرج الرافعي من ملك نفسه وأهله إلى حكم التاريخ ، وللتاريخ حق واجب الوفاء

وزوج الرافعي مصرية صريحة النسب ، من أسرة البرقوق المعروفة في (منيه جناج) — دسوق — وأخوها الأديب الكبير الأستاذ عبد الرحمن البرقوق صاحب (البيان) ؛ وقد كانت صلة الأدب بين الرافعي وعبد الرحمن البرقوق هي أول السبب في هذا الزواج .

حدثني المرحوم الرافعي قال : ... كنت في الرابعة والعشرين وكنت أعرف عبد الرحمن البرقوق نوعاً من المعرفة التي تربط

ن شابين توافقا فى الطبع ، واتفقا فى الغاية ؛ وكان عبد الرحمن لباً أزهرياً ولوعاً بالأدب ، له حظوة ومكان عند الأستاذ الامام كان من تلاميذه الأدنين ؛ وكنا نلتقى أحياناً ؛ فسرنى منه سره منى ؛ وكان يعيش عيشة مترفة ليست منها حياة الأزهريين كان له من غنى أبيه ومن جاه أسرته عز وكرامة ... فما تعارفنا ى تصافينا ، ثم اتصل بيننا الود ، فكنت له وكان لى أصفى يكون الصديق للصديق . . .

لم أكن أعرف له أخاً أو أختاً ، ولم يجر فى بالى قط أن ـلة بيننا ستتجاوز ما بيننا ، حتى كان يوم جلست فيه أتحدث ى نفسى ، فكأننى سمعت صوتاً من الغيب يهتف بى أن صديقى د الرحمن هو صهرى وأخو زوجى ... وانتبهت إلى نفسى وأنا سائلها : أله أخت ؟ يا ليت ... ؛ لو كان إننى إذاً من السعداء..(1)

وكانت نفسى فى الزواج ، فما هى إلا أن تحرك فى نفسى هذا اطر حتى سعيت إلى صديقى عبد الرحمن ، وقلت له وقال لى ، جرنا الكلام إلى حديث الزواج ، فقلت لصاحبى : من لى يا أخى زوجة التي أريد ؟ ووصفت له الفتاة التى تعيش فى أحلامي ؛ فرغت من حديثى قال صاحبى : أنا لك بما تريد . قلت : رف ؟ قال : هي هدية أقدمها إليك . قلت : مَن ؟ قال : اختى!

قال الرافعي : وغشيتنى غشية من الفرح ، فما تلبثت حتى دت إليه يدى فقرأنا (الفاتحة) ، وما وقع فى نفسى وتشذ أننى يدي لأخطب عروسى لنفسى ، ولكنى أمدها لأتعرف إلى روس التى خطبتها علىّ الملائكة وأثبتت نبأ الخطبة فى لوح الغيب

وبنى بأهله ، وعاشا أهنأ ما يكون زوج وزوج ، ثلاثاً وثلاثين : — ثلث قرن — لم يدخل الشيطان بينهما مرة واحدة ، ولم اصما لأمر ، إلا مرة . . .

قال الأستاذ جورج ابراهيم : لقد حضرت عرس الرافعي ، بيته طوال يومه حتى صعد إلى جلوة العروس ، وشهدت طرابه وخجلته ، واستمعت إليه من بعد يتحدث عن أدته ويغبط نفسه على حظه وتوفيقه ، وما شكا إلىّ مرة واحدة ناله ، ومضى عام . . . وجاءنى ذات يوم ، فجلسنا نتحدث ، سرحنا في الحديث ، ولكن وجه الرافعي كان ينم على شيء . . على سر يطويه ، ثم لم يلبث أن أفصح ، قال : يا جورج ، لقد عزمت على أمر ... سأطلق زوجى ! وراعنى هذا النبأ ونال منى ؛ قلت : تطلقها ! لماذا ؟ قال : إن إخوتها يجحدون حقها فى تركة أبيها ، لا يريدون أن تستمتع منه بشيء . . . قلت : فهذا هو السبب ؟ قال : نعم ، قلت : فما ذنبها هي ؟ قال : أيهون عندك أن تكون زوجى ليس لها عند إخوتها حق ولا كرامة ؟ قلت : ويهون عندك أن تأخذها بما اقترف أخوها ؟ . . . مصطفى ، إنك جبار ، أوْ لا فاذكر أن الطلاق جريمة لم يقترفها قبلك أحد من أسرة الرافعي ؛ أولا هذا ولا ذاك ، فاذكر أن أهل (طرابلس الشام) لا يذكرون الطلاق إلا كما يذكرون نادرة معيبة وقعت مرة ولن تتكرر من بعد . . . فكن بعض أهلك يا صاحبي . . . !

. قال : وأطرق الرافعي هنيهة ثم قال : أحسبتني أفعلها ... ! ؟ ولم يدخل الشيطان من بعد بينه وبين أهله ، إذ كان كل منهما يعرف لصاحبه حقه وواجبه . . . ومضت اثنتان وثلاثون سنة بعد هذه الحادثة ، كما يمضى شهر العسل ، أو شهر الغزل ، ليس فيه إلا العطف والمحبة والاحترام .

* * *

كان الرافعي يعيش فى بيته عيشة مثالية عالية ؛ فهو زوج كما يجب أن يكون الزوج ، وأب كما ينبغى أن يكون الأب ؛ وما كان منكوراً لأحد من أهله أن الرافعي ليس موظفاً كسائر الموظفين عمله فى الخارج وحسب ؛ بل كانوا جميعاً يعلمون ما عليهم لهذا الرجل الكبير ، ويشعرون بما عليه من تبعات تفرضها عليه مكانته الأدبية ، فيهيئون له أسباب الهدوء والراحة والاطمئنان . كان في بيته كالملك من الحكومة الدستورية : يملك ولا يحكم ، ويعيش فى جو من الاحترام والرعاية والطاعة ، فوق الأحزاب وفوق المنازعات ؛ فمن ذلك لم تكن (سياسة) البيت تشغله أى شغل أو تشغب فى هدوئه وتعكر صفوه ؛ فكان خالصاً لنفسه ، منقطعاً لفنه وعمله الأدبى ، فدار كتبه له هو وحده ، وطعامه مهيأ فى موعده وعلى نظامه ، وفراشه ممهد فى موضعه لساعته ، ونظامه الذى يحقق له الهدوء والراحة ونشاط الفكر مرعىٌّ مضبوط

على أنه كان إلى ذلك يعرف واجبه لزوجه وأولاده ، فما هو إلا أن يفرغ من عمله حتى تراه بين أهله مثلا عالياً من الحب والوفاء ؛ وأنا ما عرفت أباً لأولاده كما عرفت الرافعي ؛ إذ يتصاغر لهم ويناغيهم ويدللهم ويبادلهم حباً بحب ، ثم لا يمنعه هـذا الحب

(1) كان الرافعي يؤمن بالغيب والالهام إيماناً عجيباً ، وله فى هذا الباب دث — سيأتى ذكرها — تشبه أن تكون من الخرافة أو من صنع حلام .

الغالي أن يكون لهم أبا فيما يكون على الآباء من واجب التهذيب والرعاية والارشاد ، ناصحا برفق حين يتحسن الرفق ، مؤدبا بعنف حين لا يجدى إلا الشدة والعنفوان .

* * *

وما دمت بصدد الحديث عن الرافعي في أهله ، فان واجباً عليّ أن أتحدث هنا عن شيء من (حب الرافعي) أراه يتصل بهذا الموضوع :

في فترة ما من حياة الرافعي — سأتحدث عنها بتفصيل أوفي فيما بعد — كان للرافعي هوى وغرام ، ووقع له في هواه مايقع للمحبين من ضرورات الحب ، ودافع نفسه مادافع فلم يجد له طاقة على المقاومة ، واحتال على الخلاص فما أجدته الحيلة إلا همّا على هم ، وكان حبه أقوى منه ، ولكن دينه وأخلاقه كانت أقوى من حبه . وقال لنفسه : ما أنا وهذا الحدث الذي يعترض طريقي ويغلبني على إرادتي ؟ إن في بيتي امرأة أحبها وتحبني — والحب عند الرافعي لا يأبى الشركة ! — وإن لها عليّ حقاً ليس منه أن يكون مني لغيرها نظرة أو ابتسامة إلا أن تأذن لي ! ماذا يكون من أمري وأمرها غداً أمام الله حين يطلب كل ذي حق حقه ؟ أأقول لها : نعم قد ضيعت حقك وأعطيت من قلبي الذي لا أملك لمن لا تملك ؟ ويلي ! إنها الخيانة والاثم والعار !

وذهب إلى زوجه فحدثها وحدثته ، ثم أفضى إليها بخبره وكشف لها عن نفسه ، ثم قال : وأنت يازوجتي هل يخفى عليك مكانك مني ؟ ولكن . . .

واستمعت إليه زوجته هادئة مطمئنة . . . ثم أذنت له . . .

وكتب الرافعي رسالته الأولى إلى صاحبته التي غلبته على قلبه ، وقرأت زوجته الرسالة وطوتها وأرسلت بها إلى صندوق البريد . . .

وجاء جواب صاحبته فقرأته زوجته كما قرأت رسالته ، وصار هذا دأبهما من بعد . . . لا ترى زوجته لها حقاً عليه إلا أن تعرف ، ولا يرى على نفسه في ذلك ملامة مادامت زوجته تعرف . . . !

وأنشأ هذا الحب طُرفتين في الأدب العربي تم بهما نقص العربية في فلسفة الحب والجمال ، هما كتاباً « رسائل الأحزان » و « السحاب الأحمر » ولكن . . . ولكن أحداً لم يقرأ القصة الأخرى . . . قصة الحب والوفاء والتضحية ، لأن الرافعي لم ينشرها فيما ألف من الكتب في فلسفة الجمال والحب . . . !

« سيدي بشر »

محمد سعيد العريان

الفلسفة الشرقيـــة

بحوث تحليلية

بقلم الدكتور محمد غلاب

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

— ١٨ —

الديانة الفارسية

لا ريب أن من يلقي على الديانة الفارسية نظرة فاحصة يأخذ بلبه ما يجده بارزا بين جوانبها من البتدعات « الزرادشتية » التي يجزم بعض مؤرخي الحركة العقلية بأنها لم يسبق لها نظير في تاريخ الديانات القديمة ، إذ لا يعرف التاريخ قبل « زرادشت » مجدداً قلب الدين القديم رأساً على عقب وأحدث فيه أحداثاً جديدة إلا « أخناتون » الفرعون المصري الذي نادى بالتوحيد في وسط معمعان الوثنية والتعدد الطاحنين ؛ ولكن « أخناتون » في نظر هؤلاء المؤرخين لم يبلغ مرتبة « زرادشت » لأن دعوته كانت تجديداً سياسياً أكثر منها دينياً ، ولهذا قد فشل تجديده على أثر صعود خلفه على العرش ، وإذاً فزرادشت هو الفذ الأسبق في هذا التجديد

ولكن ليس معنى هذا أن « زرادشت » قد قطع كل العلائق بالديانة القديمة وأنشأ ديانته إنشاء كاملاً ، كلا ، وإنما هو قد أقر منها الشيء الكثير ، وهذا هو الذي يحدونا إلى أن نلقي على الديانة القديمة نظرة عجلى قبل أن نعرض للديانة « الزرادشتية »

الديانة قبل زرادشت

ليس عندنا من المصادر عن الديانة الفارسية السابقة على « زرادشت » القدر الكافي لإعطائنا عنها صورة واضحة تمكننا من تحليلها على الطريقة العلمية القيمة ، وإنما كل ما نعرفه في هذا الصدد هو أن نقوشاً أثرية يرجع تاريخها إلى القرن الرابع عشر قبل المسيح وجدت في الشمال الغربي من بلاد فارس ، ووجدت فيها أسماء آلهة هندية ثلاثة وهي : « ميثرا » و « أندرا » و « ڤارونا »